

لقاء مع صحيفة ألوان

19 أغسطس 2001

يوصل الدكتور الزين عباس عمارة حديثة في هذا الجزء الاخير من الحوار قبيل رحيله الى رحاب الخليج حيث يعمل .. والمطالع لسيرته يدرك جلال ما يقدمه من انجازات للحياة قل ان تجود بها أزمة الناس .. فهو الطبيب والاديب والباحث والمتأمل .. يختلج عالمه بالشعر والنبوءة والماورائيات داخل كون ممتد .. ولد الدكتور الزين عمارة بمدينة عطبرة بالاقليم الشمالي .. تخرج من كلية الطب - جامعة الخرطوم - تلقى دراساته العليا في بريطانيا .. حصل على دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن .. نال زمالة كلية الاطباء النفسانيين الملكية بريطانيا - عضو جمعية الاطباء النفسانيين الامريكية .. يشغل حاليا منصب استشاري ومدير مستشفى الطب النفسي الجديد - ابوظبي .. صدرت له العديد من الكتب في مجالات الطب والأدب .. وله مخطوطات تحت الطبع .. امتاز بالمفردة الشعرية الصادقة والمعبرة ببساطة عن خلجات القلب .. يعد مثالا للانسان المناضل العفيف الساعي بين مناكب الارض الخير .. وكل هذا يبقى جزءا يسيرا من سيرة ((كتاب)) حافل بالكفاح والعتاء :

“مسكون بالوطن رغم أنني اعيش في ظلال وارفة ...
موت القرنيتية احيا قضية .. واتمنى لافتة بهذا المعنى”

• شاركتكم في نظام مايو بالأشعار .. ثم غادرت الثورة وثوارها .. وتلاحظ هدوء ((اختباء)) ثورتكم في ما يخص الوطن - القصيدة ... و... ماذا تبقى من تلك الأيام ؟

كنت اعتقد ان هذا السؤال قد تجاوزه الزمن بعد ان قالوا: ((سبحان من يحيي العظام وهي رميم)) وذكروا محاسن موتاهم ولكن بعد ان ((جاءت)) من جديد بنفوذها ورموزها - فاذا المؤددة سئلت بأى ذنب قتلت - فبأى حق يظل هذا السؤال معلقا كحبل المنشقة على رقاب الكثيرين ، ومنهم من قضي نحبه ومنهم من مازال ينتظروما بدلوا تبديلا ...

لقد سمعت لقاء اذاعيا مع اللواء ((م)) مهندس بابر على التوم المحافظ السابق للعاصمة في عهد مايو .. وقد قرأ قائمة بأسماء الوزراء الذين شاركوا في نظام مايو .. وليته واصل القراءة حتى اليوم لنرى الامتداد التاريخي لنرى الامتداد التاريخي للفكر (الانقلابي) في مسيرة الديموقراطيات ... نعم... لقد شاركت في كل الأنظمة بالأشعار منذ الاستقلال وحتى بعد مايو... و إذا كان مفهوم الخسارة يدخل في حسابات الربح والخسارة فأننى شاركت في نظام الانقاذ حين كتبت مرة بعد صمت طويل في صحيفة تحسب للنظام ان لم تكن ناطقة باسمه وانا اعلم علم اليقين بمفهومات الحسابات السياسية بعد فترة لاحقة سوف احاسب على هذه المشاركة. وأحب ان أورد قناعة خاصة ان تاريخ السودان السياسي مر بمراحل من الازمات والانعراجات ما كان بوسع المؤرخ الشهير ((ارنولد توينبي)) ان يتنبأ بها، وما يحدث الآن يؤكد تلك الحقيقة .

وقناعة ثانية : أننى بعد نصف قرن من التجربة السياسية في السودان أقول يجب أن يقتنع الجميع أن مسألة الحكم في السودان ((مشكلة مؤسساتية : أزمة نظام سياسي متكامل يحترم الحرية : يوفر السلام .. يصون العدالة الاجتماعية وفي ظل هذه الطوابق ووجود هذه المعايير لا يهتم من يحكم السودان ولعلك ترقب ان أزمة الحكم السودانى منذ الاستقلال هو مسلسل واحد - حكم مدنى - انقلاب عسكرى - حكم مدنى - انقلاب عسكرى .. والبقية تأتي .. وكل نظام يرفع شعارات التجديد والتحرير واول ما يقوم به ((يأتى بنفس النظام)) بل نفس الأفراد - وأكثر ما يقوم به مصادرة الحريات تحت شتى المسميات والمحاذير أعود الى مايو التى ظننت واهما أنها سوف تحرر الانسان السودانى من شرور الحزبية وتوفر مناخ الحرية - كما ظننت وهما

الأنقاذ نفس الظن - وبعض الظن اثم - انها سوف تتخلص من بقية الاحزاب وتحت هذا الشعار مارست نفس شعارات مايو ان لم يكن الانقلاب من فكر "مايو" وتخطيط من شاركوا فيه أنك تقول ان الثورة غادرت وبعض أهم كوادرها يرفع أعمدة الانقاذ - والتي أستفادت من التجربة المايوية فى مصادرة الحريات وخلق الاجهزة التى تطارد شعارات الحرية والسلام والعدالة الاجتماعية مما أورث الحقد والطغينة - واشعل درام الاحتراب بصورة أدت الى تدويل مشكلته داخلية لها أخراف خارجية كان يمكن حصرها بالحوار لا بالبندقية - مما جعل القضية تخرج من الاخبار الداخلى من وليم دينج- جوزيف لاقو- جوزيف قرنق الى مجلس الكنائس والاتحاد الاوروبى : أن نظام مايو ولد ويحمل فى ثناياه بذور الأنقسام عندما صار الصراع على السلطة يطفئ على الفكر المؤسساتي وتقلصت الثورة فى يد فرد والشعوب تصنع الصنم وهذا ما حدث وما يحدث وسوف يتكرر اذا لم يستوعب الناسون دروس تجربة الحكم فى السودان .. أنا أكتب عن شعارات مايو ومخاض الثورات الوليدة منذ الاستقلال والاحياء يذكرون اشعارى فى عهد ((عبود)) الذى يبكى الناس منذ تفجير أكتوبر كما بكى البعض على مايو عند انتصار الانتفاضة .. وبكوا على الأنتفاضة بعد الانقاذ .. وسوف يبكون على الانقاذ إذا ظنوا أن انقلابا عسكريا جديد سوف يغير واقع السودان أن المتغيرات السياسية فى العالم تقول غير ذلك .. والمتغيرات الديمقراطية فى السودان تقول أيضا غير ذلك فالجيل الحاضر لم ينعم بالديمقراطية كما لم يسعد بها الشعب السودانى خويفا .. لكن الفارق ان هذا الجيل ولد فى ظل الاحكام العسكرية وغياب الديمقراطية وعرف العنف والقمع والعنف المضاد فلن يتنازل عن الحكم مثلما فعل ((عبود)) حقنا للدماء لانه سلم الحكم بتكليف من حراس الديمقراطية فنأدى رفاقة فى السلاح للحضور الى الخرخوم .. لقد انتهى هذا الماضى بمراحله السياسية ...

• ثم ماذا؟

أتمنى أن يكون فى غيابى عن الساحة العذر كل العذر فى التفريط فى الصراحة ، والافراط فى السباحة ربما ضد التيار ... وقد ظن البعض انى كنت غائبا ولكننى غيبت نفسى عندما ادركت ان قول الحقيقة لا يرضى الجميع ولغة الحوار سقطت من القاموس السياسى ..
اما الاجابة على الجزء الاخير ، فان مراجعة دواوينى جميعها بعد مايو وكتاباتي كلها أثناء وبعد مايو تحمل اجابات واضحة كانت غائبة لاننى كنت خارج الوجود وما زلت خارجة ، الا انها موجودة فى دار الوثائق القومية السودانية بأرقام ايداع موثقة .

• مما ترى وتسمع وتشاهد ... نريد تلخيصا للراهن السياسى ... ولا ننسى ان لك قصيدة بعنوان ((حوار حول المصالحة الوجودية))؟

قد يكون من الظلم لنفسى والتجنى على غيرى ان احاول تشخيص الراهن السياسى فى السودان وانا فى الخارج لأن فى ذلك مجافاة لروح العلم والدقة الموضوعية والانطباعية .. ولكن إذا لم يكن من الموت بدء فمن العار ان تموت جيانا ...

أقول .. اننى اتابع ما يدور فى السودان ومسكون بهاجس الخوف على مستقبل السودان رغم اننى اعيش فى ظلال وارفة بالخارج .. وقصيدة ((حوار حول المصالحة الوجودية)) التى تحدثت عنها لا ابرىئ نفسى من تهمة الانزلاق بالسودان فى مخاخر الحرب والثورات والانقلابات التى أضعفت هذا الجسد المنهوك ، وقد كتبتها فى وقت كان الحديث فيه عن الحوار وعن المصالحة ، وعن قضية الوجود اشبه بشعارات الزندقة .. واننى على قناعة تسندها تجربة سودانية اصيلة ومعاصرة لكل مراحل الحكم بعد الاستقلال - ان واقع اليوم هو ما جاء فى ((قصة القصيدة)) وفى المقدمة ، ولا بديل للحوار ولا بديل للمصالحة ليس المصالحة الذاتية أو الشخصية فقط ، وانما الوجودية من أجل عيون البلاد .. ولا نريد أسقاط النظام لاننا لا نحب رموزه لناثى بأفضل منهم ، ولكن لتغير النظام المؤسسى بحيث يصبح الفرد سواء ممثل خائفة او شيخ قبيلة او ممثل مغفور أو لاعب كرة مجرد

اداء خبيعة لتغيير الارادة الوخنية وبالضرورة لن تكون معايير اختياره تمثيل الحزب او ارضاء السلطة وانما اهداف تغيير واقع الانسان السودانى .. والحق يقال وانا ازور السودان سنويا في العقد الاخير الاحظ بعض انفراج في الفكر السياسي ، وتغييرا في الخريطة السياسية ومحاولات جادة من اجل المصالحة الوخنية .. ولن يكون الوفاق مطية ، وان كانت تلاحقنا دائما عقدة الاسقاط فى نقض العقود والنكوص بالوعد وعدم الوفاء بالعهد ، فلن نخرج من هذا الدهليز المظلم الا بالمصالحة والحوار الحق للوصول للاجماع الوخني .. ومن يظن انه يستطيع البقاء في السلطة او الاستمرار في المعارضة بغير حوار فإنه يراهن على أن يظل السودان فى (غرفة الانعاش) حتى يلفظ انفاسه ويقبل بعضهم على بعض يتلاومون .. وارجو من القارئ ان يراجع اشعارى منذ عام 55_2000 م وانا مسئول عن كل كلمة وحرف كتبته .

• وأين كتبكم وكتاباتكم ... ؟

مؤلفاتى فى دار الوثائق ارجو من القارئ الاخلاص عليها ليحاسبني قبل يوم الحساب وليس هذا اعلان بالمجان عن هذه الكتب فهي ليست موجودة فى السودان ... وانا على استعداد لشراء أى مخطوط منها بأى ثمن لمن يملك اي نسخة منها خارج الدار .

• د . الزين يدرك حجم وخطورة انتشار اوكار الدجالين الذين يوهمون البعض بالعلاج من أمراض تدرج تحت اختصاصكم .. من ناحية ثانية – ما هو تقييمكم عن ما يقوم به ((الفكى)) عندنا فى مسائل العلاج .. ومدى ايمانكم بحكاية ((الجن)) الذى يؤذى الانسان فيعجز خبكم الحديث عن علاجه وامامنا كثير من الحالات ؟

قال تعالى : ((قال عفريت من الجن انا آتيك به من قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين)) .. سورة النمل الآية ((39)) . وقوله تعالى : ((وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون)) صدق الله العظيم . ولكن ما يحدث الآن هو انتكاس واضح لضعف ايمان قلة من الناس او جهل فئة اخري او فرط ترف فئة ثالثة : ((واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) صدق الله العظيم .. ان ولع الانسان بالغيبيات وما وراء الطبيعة ((الميتافيزيقيا)) يجذب بعض المولعين بعلم النفس او الغارقين بحب النفس او الجاهلين له ان يروجوا لدور الجن فى المرض النفسى ويباعدوا بينه وبين دور العلم .. وعندما تختلط الأمور بهذه الصورة – يختلط الحابل بالنابل ويدخل الحلبة المغامرون بكل شئ .. ويعلمون تحت شتى الواجهات .. وعندما يدخل عنصر المادة فى اي شئ يفسده ويشوه المعاني النبيلة فيه .. وانا لست منزعجا لهذه الظاهرة – فلا يصح الا الصحيح خال الزمان ام قصر .. الزيد يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس .. وهذا الامر مرتبط بالوعي ، والعلم نور .. وكلما تقدم العلم ادرك الناس خبيعة هذه الفئة .. وتبقى الفئة الضاللة سادرة في غيها بفعل عوامل اخري ..

وقد يكون من المفيد تاريخيا ان اذكر لك فى معرض الحديث عن الشيخ او الفكى ، ودوره فى العلاج النفسى ، عن تجربة شخصية كطبيب نفسى عندما كنت أعمل فى قسم الطب النفسى بمستشفى مدنى فى عام 1967م .. وقد انشأت هذا القسم بالتعاون مع وزارة الصحة والشيخ ((المكاشفي)) رجل الشكينية .. الرجل الورع التقى .. وكنت ازوره فى داره الخاصة ويزورنى فى القسم ونقوم بتوزيع الادوار ، كل فى مجال اختصاصه .. وقد كانت تجربة ناجحة اعتر بها وهي الآن من احدث النظريات Community Liaison Psychiatry .. وشاء الله ان اوثق لها فى كتاب ((اضواء على النفس البشرية)) بالتفصيل ، وأمل تمكين القارئ من الاخلاص عليه .. وزملائي في المهنة يعرفون هذه التجربة .. ولكننى ادرك جيدا ان هذا يقتضي حملة توعية شعبية في مجال الصحة النفسية توضح الغث والجيد والصالح والطالح .. اما ما تقصده اذا صدق فهو تجارة بائرة وعمل ضار بمفهوم الصحة النفسية وعلى الدولة ان تضع على عاتق المسؤولين حماية المجتمع من هؤلاء الذين اصبحوا شبه بطاعون العصر .. وهم يرتقون من احزان الغلابة ...

• **ظاهرة المغنين الشباب؟**

ظاهرة صحيحة تمثل تواصل اجيال وحمل رسالة فيها الغث والشمين .. في زمان غير الزمان الماضي تحتاج الى تهذيب الاذواق وتقويم الاخفاق بالاحتكاك والممارسة لا الصراع والمشاكسة .. احمد لهم الاتكاء على الحقيبة لنقل القيم الجميلة التي تبقى على النشار وترتفع بجودة الاداء في التراث والاصالة الغنائية .

• **الساحة الادبية اليوم؟**

رغم اني بعيد عن الساحة لاكثر من ثلاثة عقود .. اتابع من وقت لآخر ولكني كلما حضرت للسودان .. وقرأت ما يكتب ازدت قناعة بأن الشعب السوداني قارئ جيد ولديه القدرة ليكون كاتباً اكثر جودة لو اتاحت له فرصة الكتابة واكثر انتاجاً لو وجد دور النشر والطباعة .

• **محمد وردي؟**

لولا ايماني بأن رحم الأم السودانية قادر على العطاء فى كل الأزمنة لقلت ان تجربة وردي لن تكرر بتفاصيلها .. فهو الفريد في عصره .. في الغناء .. في الفكر السياسي .. فى النهج الاجتماعي وفى القدرة على مواجهة الشدائد وهذا دليل اصالته .

• **عثمان حسين؟**

اكثر من أخ ((ورب أخ لك لم تلده أمك)) عرفته منذ خفولتى قبل ان اراه عندما غنى ((اللقاء الأول)) ((والفراش الحائر)) والتقيت به فى الخرطوم عام 1960م عندما جئت جامعة الخرطوم ولم تنقطع صلتى حتى صباح اليوم .. فهو اسطورة الطرب .. وقيثارة التطريب .

• **عمر الجزلي؟**

صديق اذاعي واعلامي عاشق حتى النخاع لمهنته الاولى ووظيفته ((الاعلام)) اتمنى لو اتاحت له الفرصة ليتفرغ لبرنامج ((اسماء في حياتنا)) وهو موسوعة توثيقية تاريخية نادرة يحتاج الى شركة ترعى البرنامج وامكانيات تمنحه موارد مالية تساعد علي اثناء البرنامج وتوسيع دائرة الحوار والقدرة على السفر والترحال وتكوين الارشيف التوثيقي ..

• **الصحافة السودانية اليوم؟**

يؤسفني ويحزنني كثيرا انني لم اتابعها عن كذب فلا تصلني الاماما والتغيرات الكثيرة في الشكل والمضمون لا تساعد فى التقويم ولكن الكثرة لا تعني بالضرورة زيادة مساحة الحرية وقد تكون على حساب الجودة والله أعلم .

• **الفضائية السودانية؟**

خفرة اعلامية غيرت صورة السودان فى الخارج .. لم تربط المهاجر بوطنه فقط ولم تربط السودان بالخارج فقط وانما ربطت المغترب ذاته بالمهجر حيث صححت كثيرا من المفاهيم الخائنة حول هوية السودان وجغرافيا السودان .. وموارده .. اصبحت اضافة جديدة مشرقة لو كفت نشر الغسيل فى خارج اسوار البيت .. واكتفت بالبرنامج التي تقدم السودان للخارج ولا تشوه الصورة الجميلة فى اذهان الذين يعرفون السودانيين هناك .. وما كل ما يعرف يقال ..

• أناشيد السلطة اليوم؟
أنا اعرف فقط أناشيد الوخن .. لان أناشيد السلطة تذهب مع السلطة أما أناشيد الوخن تبقى مع الوخن والبقاء للأصلح .

• زمان؟
زمان كان رجل الدين ورجل السياسة ويقال الحلته ومطرب الحي ولاعب الكرة يجتمعون على وجبة خعام ويفترقون على حسن الختام .

• شخصية...؟
الاعلامى الفذ .. الرقم المميز ((على شمو)) البروفسيور العالم والصديق .. فقد كان نجما ساخعا في الخارج وشمسا مشرقة في الداخل ومثال حي لتواصل الاجيال .

• مدينة.....؟
جوبا .. علمتني ان الحرب والسلام في يد السودانين .

• قضية.....؟
موت ((القرنيتية)) احيا قضية حديقة الحيوانات التي شهدها الآلاف في صراع البقاء في الشارع .. نأمل ان تكون واجهة لقاء داخل سور جديد يحمل لافتة بهذا المعنى؟؟

• أخيرا.....؟
الى كل من يحمل رسالة او يعمل على احياء فكرة – عليه مجادلة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة .. وهذه ارقى درجات الحوار .. ان القوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة .. قوة الفكرة وقوة الاقناع .. وقوة البقاء .